

الوقف وعمارة المرأة في الإسلام
قراءة معرفية في الخبرة التاريخية
ودلالاتها المعاصرة بالنسبة إلى دور المرأة في التنمية (*)

د/ منى أبو الفضل (**)

هناك محاور محددة يمكن التركيز عليها في تناول موضوع الوقف وعمارة المرأة في الإسلام ، والعنوان الفرعي لهذه المداخلة هو قراءة معرفية في الخبرة التاريخية ودلالاتها بالنسبة إلى المرأة والتنمية اليوم . وتأتي كل هذه المصطلحات التي ذكرتها ؛ لأن الهدف الأساسي من البحث في هذا الموضوع - باختصار شديد - ليس هو التعريف بخبرات أو نماذج تاريخية على هيئة وصف ورصد ، وليس التعامل مع بعض النماذج التطبيقية ، لكن طبيعة البحث في هذا المجال ارتبطت بالاهتمام بوقفة وسيطة ما بين التنظير والتطبيق ، ومن المسلم به أن البعد التنظيري مرتبط بحقل المفاهيم ودلالاتها والأطر المرجعية وكيف يمكن من خلال الاهتمام بهذا البعد النزول إلى مجال تطبيقات معينة للصعود منها مجدداً إلى مجال اختبار وإثراء وتغذية وتطوير الإطار المرجعي والمناهج والأدوات التي تساعدنا على التعامل مع الظاهرة العمرانية كظاهرة اجتماعية من خلال المرأة .

إن الاهتمام بموضوع الوقف وعمارة المرأة تم التعرض له منذ خمسة أعوام من خلال دراسة كانت قد قدمت في مجال التنمية البشرية ، وتم تقديم الوقف كنموذج لتحقيق التنمية البشرية ، ومن خلال دراسة حالات تشمل دراسة المرأة أيضاً ، وبهذه المناسبة فإن موضوع اليوم ليس موضوع ورقة بحثية لكنه جزء من سلسلة من الأبحاث الممتدة أو جزء من مشروع معين ، بحيث إنه تم خلق مجال بحثي رسدي لبعض عناصر هذا الموضوع منها وقف المرأة في التاريخ ، وإذا كان مجال البحث في هذا الموضوع له مادة متوافرة ، فإن التحدي أو الإشكالية هي كيفية التعامل على مستوى فكري معرفي مع هذه المادة العلمية المتراكمة .

والسؤال الملح هو : لماذا المرأة والوقف ؟

وأقول : إن ثمة حرصاً شديداً - ونحن هنا نتناول الوقف وعمارة المرأة في الإسلام -

(*) نص تفريغ الكلمة الشفوية بعد تحريرها .

(**) أستاذ العلوم السياسية - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة .

أو احتياجاً للتنبيه إلى أن المدخل لتناول موضوع المرأة لا يتم في سياق الخطابات السائدة لا على مستوى الخطاب الأكاديمي أو الخطابات في المجال العملي ، فالخطاب السائد عادة يرتبط بمنظومة حقوقية ؛ حقوق المرأة أي : أن تناول موضوعات وقضايا المرأة يستدعي المنظور الحقوقي الدفاعي أو منظور تحرير المرأة ، والمدخل لتناول موضوع اليوم ضمن البرنامج البحثي الذي يقوم على منهجية بديلة للتعامل مع الظاهرة العمرانية الاجتماعية الحضارية هو البحث عن تفعيل دور المرأة .

إذا فالمنظور لا يهتم بما إذا كانت المرأة مظلومة أو محقوقة أو أي شيء من هذا القبيل ، وما إذا كانت المرأة في حاجة إلى ذلك ، لكن هذا المنظور يتناول مستوى آخر من الخطاب حول تفعيل دور المرأة اعتماداً على تشخيص للواقع المعاصر والإشكاليات الحالية ، وبناءً على ذلك فإن هدف هذا الخطاب يرتبط بالبحث عن المرأة والفعالية الحضارية ^(١) ، وماذا كان دور المرأة في الحضارة الإسلامية ، وكأن مستوى الخطاب يختلف عن السابق .

وهذا المجال يرتبط بالتأسيس لحقل دراسات المرأة من منظور حضاري بديل ، وتعريف المنظور الحضاري لا يختصر ولا يقتصر على دراسة الإسلام والمسلمين ، ولكنه يستقى من مصادر معرفية معينة ترتبط بإدخال أبعاد معرفية وقيمية وعقدية واجتماعية ، وتلك الأبعاد ترتبط بالظاهرة العمرانية وتأخذ ضمن منظومتها المعرفية البعد الغيبي لبحث دلالاته وآثاره العمرانية .

إذا نحن ننطلق نحو منظومة معرفية معينة كامنة أو مغيبة عن ساحة المنظومة المعرفية السائدة ، وهنا علينا الاحتراس بأن لا نتحدث في الخطاب العلمي عن ثنائية الغرب / الإسلام ، ولكن نبحث عن مؤشرات موضوعية لخصائص أنساق معرفية وعلى أساسها يتم تفكيك المفاهيم والتعرض للسياسات .

وهذا ينقلنا بالتبعية إلى السؤال التالي وهو : ما المقصود بالقراءة المعرفية ؟ يأتي هذا السؤال في ظل وجود قراءات أخرى أيديولوجية وقراءات سياسية ، زد على ذلك أن طبيعة الموضوعات التي نعرض لها والبيئة التي نعيش فيها وموضوع المرأة بوجه خاص يثير

(١) هناك سؤال يتم طرحه في هذه الآونة هو : هل المرأة العربية أثرت في بيئتها من خلال البيت أم العمل ؟ هل فاعلية وإيجابية المرأة في مجال العمران والمدنية الإسلامية جاءت نتيجة خروجها من البيت أم من مكوثها في البيت ؟ إن الأمر لا يتعلق بالخروج أو المكوث ، ويعد هذا السؤال بلا معنى في منظومة العمارة ، وهذا ما يؤكد أن هناك أسئلة منهجية تطرح وتكون خارج المنظومة .

هذه الخطابات الأخرى التي نريد أن نحتاط وأن نضع مسافة بيننا وبينها ، حتى نستطيع أن نتعامل بمستوى فكري وأكاديمي وعلمي ونحدث تراكمًا في رؤية بديلة .

إن القراءة المعرفية تستبطن منظورًا حضاريًا مغايرًا وإطارًا معينًا ، وترتبط القراءة المعرفية بمنظومة وبمنطلق له أدواته وأطره المرجعية ومفاهيمه ، كما أن هناك خبرة تاريخية تتناول بشكل معين التجربة التاريخية ، وقراءة التاريخ هنا ليس إجحافًا لذاكرتنا أو شحذًا لها أو وصفًا ، ولكن التعامل مع التاريخ في العلوم العمرانية يأتي كما يتعامل العالم في المعمل ، حيث توجد الخبرات التاريخية داخل معمل العمران البشري ، فهو إذا يستدعي مناهج ابن خلدون ؛ ذلك المشروع الخلدوني الذي وصل للتأسيس لعلم العمران البشري وهو يبحث عن إشكالية تاريخية ، ونحن نريد أن نصل إلى قراءة معينة للتاريخ وللخبرة التاريخية ونحن نعيش واقعًا عمرانيًا معينًا أو جدلية معينة وقراءة مميزة .

السؤال التالي هو : ما المقصود بعمارة المرأة ؟ ولماذا لا نقول الوقف ودور المرأة في العمران في الحضارة الإسلامية ؟ لماذا نهتم بعمارة المرأة ؟ لأن المقصود هنا بعمارة المرأة هو البحث عن دور وفاعلية المرأة في التشييد العمراني في الحضارة من ناحية ، ومن ناحية أخرى هي تبحث في المنظومة المعمّرة باعتبارها - أي : المرأة - المعمّرة . ما هي المنظومة التي تسكن ضمير المرأة وعن أي امرأة يجب أن نتحدث ؟ ما هي خصائص هذه المرأة ؟ إذا هنا منظومة عمرانية culture of life تمثلها هذه المرأة من حيث كيفية نشوء القيم ، الخصائص ، والعلاقة بين العمران والمرأة ، كل هذا في إطار كلي وجزئي ^(١) .

(١) تحضرنى ثلاثة مشاهد حول المرأة صاحبة المبادرة في النهوض بتعمير البيئة وتعمير الأمة :
المشهد الأول : لمايكا وهي سيدة التقيت بها ضمن أسرة جاءت إلى الولايات المتحدة في غضون الزحف الحادث من البوسنة ، ومايكا هي أم مسنة نشأت على الدين ، وهذه المرأة فقدت ثلاثة من أشقائها في الحرب ، وكانت تقوم بالزراعة داخل منزلها ، وكأن شغلها الشاغل هو الحياة والزراعة ، وشعرت أن الزراعة هو تعبير عن العمارة .

المشهد الثاني : الذي يحضرنى هو المرأة الفلسطينية التي تردد أنها مستظل باقية في منزلها لتعمره كلما هدمته قوات الاحتلال الإسرائيلي ، وبالتالي يظهر العمق والجذور التي تمثلها المرأة في العمران ، وبالتالي فامرأة العمارة أو العمران موجودة في تراثنا وما زالت تقوم بدورها العمراني المتميز في هذه المنطقة الحضارية .

المشهد الثالث : يتعلق بدور المرأة في الوقف ، ومن خلال النماذج التطبيقية أطرح نموذج أم الأطباء المصريين ، فقد أوقفت هذه المرأة في نهاية حياتها وقفية معينة للأرامل والأيتام في شكل مشروع ، وهذه المرأة كان لها تجربة تمتد لأربعين سنة في ميدان العمارة بدأت منذ أوائل الخمسينيات في مصر ، عندما أدخلت مفهوم الطب الاجتماعي والطب الوقائي من خلال التعامل مع المرأة الأم ، وكانت هذه السيدة طيبة أطفال فكان همها هو تربية الجيل الجديد ، وكانت تُنازل ثلوث الفقر والجهل والمرض ، وتتجه للطفل المريض في المجتمع ، في إطار رؤية متكاملة لمفهوم الصحة ، ولقد انعكس ذلك في أعمال مؤسسية قامت بها في مجال الصحة ، بدأت =

نقطة أخرى جديرة بالذكر هي أن العمارة والتنمية تحدثان في نفس المكان ، فالتنمية تنتمي إلى حقل معرفي ومنظومي مغاير ، أي : أنه يتم تفكيك التنمية وبعاد التعامل مع عناصرها من خلال ربطها بإطار مرجعي يرتبط بمفهوم العمارة ، وباختصار شديد وجدنا أن الوقف الذي هو عماد العمران الإسلامي أو هو العمود الفقري لها في مجالات شتى ، أنه خلال هذا الوقف كانت المرأة المسلمة في قلب هذه المؤسسة ^(١) ، أي : أن هناك علاقة وطيدة بين الوقف والمرأة ، ومن خلال قراءتنا لكل من الوقف والمرأة نجد أن كثرة التعامل مع الوقف يركز على الأبعاد الاقتصادية للوقف أو على دراسات فقهية .

ونحن هنا في معالجتنا للموضوع نتناول الوقف من خلال منظومة جديدة ؛ أي : تناول جديد يرتبط بتفكيك هذا المفهوم أو هذه الظاهرة وإعادة بنائها ، وكل من الوقف من جانب ، والمرأة من جانب آخر تعرّض لأبعاد غير منظورة أو أبعاد معنوية تحتاج إلى أدوات منهجية للتعامل مع هذه الأبعاد ، والهدف من الرسالة العلمية التي نسعى أن نقوم بها في التأسيس لمنظور حضاري بديل هو تحويل القيم الأخلاقية أو القيم التي توجد في ضمير الأمة ويفهمها الجميع على أنها سلوكيات ووعظ وأخلاقيات إلى أبعاد معرفية ؟ .

وهنا يثار السؤال : كيف نستطيع التعامل مع هذه القيم بحيث تدخل في مناهجنا للارتقاء بها . وهذا هو السبب في أننا دائماً ما ننتقد النمط أو النموذج البحثي السائد

= بالصحة العضوية وإقامة مفهوم متكامل لاستواء الصحة ، يجمع بين الصحة العضوية والصحة النفسية والصحة الروحية والصحة العقلية والتثقيف والصحة الاجتماعية . وفي أوائل الستينيات قدمت مفهوم إعادة التأهيل rehabilitation للحياة العامة المتكاملة . لقد كان هناك شروط معينة لوقفية عام (١٩٩٧ م) للأرامل والأيتام تحمل بصمة وطابع قراءة لامرأة عمرانية وقفت علمها ، فرأس مال الإنسان يدخل فيه مجال علمه ، ثم بنت المستشفيات والمدارس ، وضمن هذه المنظومة كان يبرز البعد الثقافي لتنشئة الشخصية ؛ إذ اهتمت بفكرة تعليم القرآن باستمرار سواء كانت في وقفية أطفال مصر أو البوسنة أو غيره ، ولم يكن ذلك شرطاً أو بنداً مستقلاً ، ولكن تعليم القرآن كان مرتبطاً بالنفسية والعقلية والانتماء والولاء للطفل في الوقت الذي يتلقى فيه تعليمًا حديثًا .

(١) هنا يظهر السؤال عما إذا كانت المرأة دافعاً للوقف أم أنها كانت مؤسسة له ، وأرى أن استخدام جملة « المرأة في قلب الوقف » تأتي اعتماداً على أن الوقف كان هو الذي أوجد الحضارة الإسلامية ، والمرأة تلقت لاحتياجات معينة في البيئة ومن خلالها تؤثر ، وبالتالي كانت المرأة مشيدة لمؤسسات ومديرة لكيف تدار وكيف تؤمن الاستدامة لها ، وفي نفس الوقت كانت المرأة مربية ، وتربية امرأة العمارة لا تبدأ بالتلقين ولكن بالقُدوة والممارسة ، وبالتالي فالمرأة المربية أثرت في بيئتها المحلية في كل حضارات العالم الإسلامي .

أو المنظومة المعرفية السائدة ، ونحن لا ننتقدها لأننا نريد أن نستبدلها لإثبات الذات لكن هذه المنظومة تقصر أو تعجز عن التعامل مع بعض الأبعاد المعنوية ، والدليل على ذلك اتجاهات الدراسات التنموية المعاصرة التي بدأت مع التسعينيات ^(١) ، فعلى سبيل المثال نجد الترجمة العربية لمفهوم التنمية المستدامة sustainable development قد غاب عنها بعد جوهري ارتبط بنقلة نوعية أو كيفية للمفهوم الأجنبي .

فالقضية ليست الاستدامة ولكن هناك أبعاداً أخرى في هذه التنمية أخذت بعد ذلك شكل التنمية البشرية والإنسانية وما إلى ذلك ، كذلك ظهرت مفاهيم جديدة ، مثل : رأس المال الاجتماعي social capital أو رأس المال الثقافي cultural capital وبالتالي بدأ الاهتمام بمقاييس أو مفاهيم جديدة . وفي هذه الدراسة أقوم بالتعرض لمفهوم رأس المال الاجتماعي الثقافي socio-cultural capital .

وقبل التسعينيات كانت دراسات التنمية تهتم بالأبعاد المادية ، وكان رأس المال ينصب على الأبعاد الكمية المادية ، وكجزء من التحول الكيفي في التسعينيات جاءت محاولة التعامل مع أبعاد أخرى لتصبح المشاركة مثلاً من ضمن معايير رأس المال الاجتماعي ، أو الثقة ، وهي أبعاد غير محسوسة أو غير خاضعة للقياس ، وبدأت الدراسات تهتم بأبعاد معنوية .

وكل ما أحرص على الخروج به من هذه الجلسة هو أن يتعامل موضوع الوقف وعمارة المرأة في الإسلام مع مفاهيم جديدة ، يتم البحث فيها وتطويرها منذ ما يزيد عن عقدين لبناء منظور حضاري يتناول تأصيل الأمة ، وتأصيل الكيان الاجتماعي الحضاري ، والبيئة الاجتماعية الحضارية . وبالتالي فالتعامل مع مثل هذا الموضوع يقدم لنا حافزاً ؛ لأن نفعل أو نختبر بعض هذه المفاهيم ونستمر في تطوير وبلورة هذه المدرسة من خلال مفاهيم جديدة تأتي في مجالها كمنظومة التقوى وغيرها .

* * *

(١) ثمة سؤال يعد في محله حول معوقات الخطاب والمشروع الذي نقوم به - نحن من نعمل في المجال الاجتماعي - لبناء منهج متكامل بديل ، ويأتي هذا التكامل ؛ لأنه ليس المهم هو نقض ونقد المناهج القائمة أو الأطر السائدة ، لكن المشكلة هي كيفية إثراء أو إقامة والبرامج والمحتوى الذي يمكن أن يفيد في دراستنا .



الأمم المتحدة والثقافة والتنمية

فَضِيلَةُ الْأُسْتَاذِ الدُّكْتُورِ: عَلِيِّ جُمُعَةَ مُحَمَّدٍ - مُفَتًى جُمْهُورِيَّةِ مِصْرَ الْعَرَبِيَّةِ

إبراهيم البيومي غانم	سعيد إسماعيل علي	كمال خطاب
إبراهيم كالين	سعيد عبد الخالق محمود	محمد بريش
أسامة وتاضي	سيف الدين عبد الفتاح	محمد شريف بشير
أحمد أحمد جبريل	عبد الحميد أبو سليمان	محمد علي آذر شب
إيمان نور الدين	عبد الحميد الغزالي	محمد عمر شابرا
باكينام الشرقاوي	عبد الرحمن النقيب	محمد همام
جمال الدين قطب	عبد الناصر أبو البصل	منى أبو الفصل
حامد الموصلي	علي ليلة	نعمت مشهور
حورية مجاهد	عمار علي حسن	وليد منير
رفعت العوضي	فناطمة العوا	

مراجعة وتحرير :

أسامة أحمد مجاهد
أحمد أحمد جبريل
علياء وجدي

تنسيق عامي وإشراف :

رفعت العوضي
نادية محمود مصطفى

تقديم :

عبد الحميد أبو سليمان

المجلد الثاني

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر المؤلفين ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر أي من الجهات المتعاونة في طباعة ونشر الكتاب

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة

لِلنَّاشِرِ

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

لصاحبها

عبدلغادر محمود البكار

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية - إدارة الشؤون الفنية

الأمة وأزمة الثقافة والتنمية / علي جمعة محمد ...
[وآخ] ؛ تقديم عبد الحميد أبو سليمان . - ط ١ - .
القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
والترجمة ، ٢٠٠٧ م .

٢ مج ، ١٠٠٨ ص ؛ ٢٤ سم .

تدمك ٥ ٤٤٠ ٣٤٢ ٩٧٧

١ - الثقافة الإسلامية .

أ - محمد ، علي جمعة (مؤلف مشارك) .

ب - أبو سليمان ، عبد الحميد (مقدم) .

٢١٤

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية

الإدارة : القاهرة : ١٩ شارع عمر لطفي مواز لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران
عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نصر
هاتف : ٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +) فاكس : ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع
مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)

بريدياً : القاهرة : ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩

البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com

موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
ش.م.م

تأسست الدار عام ١٩٧٣ م وحصلت
على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة
أعوام متتالية ١٩٩٩ م ، ٢٠٠٠ م ،
٢٠٠١ م هي عثر الجائزة تتويجا لعقد
ثالث مضى في صناعة النشر

المحتويات

الصفحة

الموضوع

المحور الثاني : تطبيقات وتجارب في العالم الإسلامي

٥٣٣ أولاً : موقع الثقافة التنموية من تجارب ونماذج تنموية معاصرة

١ - المنظور الثقافي للتنمية في إيران وأبعاده

٥٣٧ د/ محمد علي آذرشب

٢ - التنمية والقيم الثقافية : تجربة التنمية الماليزية

٥٥٥ د/ محمد شريف بشير

التعقيب

٥٩٩ د/ محمد السعيد عبد المؤمن

٣ - البعد الثقافي للتنمية في إفريقيا

٦١٧ د/ حورية مجاهد

٤ - المدنية والثقافة وسياسة الشاقف : الحالة التركية

٦٢٥ د/ إبراهيم كالين

٥ - ثقافة المقاومة ودورها التنموي : دراسة في حدود وإمكانيات التنمية

في الحالة الفلسطينية

٦٣٩ أمجد أحمد جبريل

التعقيب

٦٦٣ د/ حسن نافعة

٦٦٧ ثانيًا : خبرات مؤسسية

١ - مؤسسة الدعوة ودورها الثقافي والتنموي : الأزهر الشريف نموذجًا

٦٦٩ الشيخ/ جمال الدين قطب

٢ - مؤسسة الزكاة : آلية إسلامية لمواجهة أزمة الثقافة والتنمية

٧٠٩ د/ نعمت مشهور

التعقيب

٧٣٣ د/ رفعت العوضي

٣ - الوقف وعمارة المرأة في الإسلام : قراءة معرفية في الخبرة

- التاريخية ودلالاتها المعاصرة بالنسبة إلى دور المرأة في التنمية
 د/ منى أبو الفضل ٧٣٧
- ٤ - دور التلفزيون في التنمية الثقافية للأطفال : مصر نموذجًا
 د/ إيمان نور الدين ٧٤٣
- ٥ - تجربة مكتب منظمة الصحة العالمية الإقليمي لشرق المتوسط
 د/ فاطمة العوا ٧٨٩
- التعقيب
- د/ نازلي معوض ٨٠٧
- ٦ - إسهام ثقافة العمل الخيري في التنمية الإنسانية : تجربة جمعية العون
 المباشر في مجتمعات إفريقيا جنوب الصحراء
 د/ إبراهيم البيومي غانم ٨١٣
- ٧ - الطرق الصوفية وعملية التنمية في العالم الإسلامي : دراسة في مدى
 ملائمة ثقافة وحركة التصوف لشروط الإنجاز
 د/ عمار علي حسن ٨٥٥
- ٨ - مدخل إلى فلسفة الاجتماع الإسلامي : دور الوقف الإسلامي
 في التنمية الاجتماعية نموذجًا
 د/ محمد همام ٨٨٩
- التعقيب
- د/ محمد عمارة ٩١٥
- ٩ - الخامات المحلية ركيزة لبناء الذات والبعث الحضاري
 د/ حامد الموصلي ٩٢١
- ١٠ - نحو ثقافة استهلاكية إسلامية : « صنّعوا واستهلكوا إسلاميًا
 وصدّروا عالميًا » تجربة منظمة التجارة العالمية في العالم الإسلامي
 د/ أسامة قاضي ٩٤٥
- التعقيب
- د/ عبد الحميد الغزالي ٩٨٣
- التقرير الختامي : قضايا واتجاهات المناقشة
- د/ نادية محمود مصطفى ، د/ سيف الدين عبد الفتاح ٩٨٧